

إيحاءات الصورة البلاغية والرمزية في شعر الأطفال: ديوان "أناشيد العلم والأمل" للشاعر

ناصر معماش أنموذجا

**Suggestions of the rhetorical and symbolic image in children's poetry: The collection of "Songs of Knowledge and Hope" by the poet Nasser Maamache as a model**

لعياضي أحمد، اللغة والأدب العربي تخصص أدب جزائري، كلية الآداب واللغات، جامعة ميرة عبد

الرحمان (الجزائر)

ahmed.layadi426@gmail.com

تاريخ النشر: 05 أوت 2020

**ملخص:**

يعد أدب الأطفال جزءا من الأدب بعمومه يحمل خصائصه وصفاته، غير أنه يعتني بطبقة متميزة من القراء هم الأطفال، وقد أدركت الأمم المعاصرة ما لهذا اللون الأدبي المستحدث من أهمية، وقد جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ: "إيحاءات الصورة الشعرية في شعر الأطفال ديوان "أناشيد العلم والأمل" للشاعر ناصر معماش أنموذجا" لتحاول الكشف عن جانب من عناصر تشكيل هذا الجنس الأدبي متمثلة في الصورة الشعرية، فقد أردنا من خلال هذه الدراسة اكتشاف مختلف الوسائل والتقنيات التي يستعين بها الشاعر في تشكيل صور البلاغية والرمزية الموجه للأطفال، ومعرفة ما هي أهم المصادر التي استسقى منها صورته؟ ومدى توفيقه في اختيار الصورة الشعرية المناسبة؟ وهل كانت متوافقة مع كل مرحلة من مراحل نمو الطفل؟ وهل حققت وظيفتها في إيصال المعنى الذي كان يسعى إليه الشاعر؟ ودورها في تحريك خيال الطفل؟

**الكلمات المفتاحية:** الطفل، أدب الأطفال، الصورة الشعرية، الخيال، الجمال، المتعة، التكوين والتنشئة.

**Abstract :**

Children's literature is part of the literature in general and carries its characteristics and characteristics, but it cares for a distinct class of readers who are children, and contemporary nations have realized the importance of this new literary color. This study, tagged with: "Suggestions of the rhetorical and symbolic image in children's poetry: The collection of "Songs of Knowledge and Hope" by the poet Nasser Maamache as a model" came to try to reveal an aspect of the formation of this literary genre represented in the poetic image. We wanted through this study to discover various methods and techniques Which the poet uses to form a poetic image directed at children, and to know what are the most important sources from which to draw his image? And how successful he is in choosing the appropriate poetic image? Was it compatible with every stage of the child's development? Did her job achieve the meaning that the poet was seeking? And its role in moving the imagination of the child?

**Keywords :** child, children's literature, poetic image, imagination, beauty, pleasure, training and nurturing.

## مقدمة

عرّف الكثير من الباحثين أدب الطفل على أنه فن أدبي نشأ ليخاطب عقلية الصغار ونفسياتهم، ويسهم في تنمية شخصياتهم وتنوير عقولهم وتحريك خيالهم، للدفع بهم إلى الخلق والإبداع والتميز وتقديم إجابات على أسئلتهم واستفساراتهم، المرتبطة بالحياة الاجتماعية وعالم الطبيعة والكون، على أن يكون الخطاب الأدبي الموجّه إليهم متوافقاً مع مراحل نموهم؛ فالسنوات الأولى من حياة الطفل الناشئ تعدّ سنوات هامة، فهي فترة من أسرع فترات النمو وخاصة في مجال النمو العقلي وتكوّن الشخصية المتكاملة والمتوازنة ليستطيع من خلالها أن يتحمل أعباء الحياة، وتحديات العصر ومسؤولياته، في إطار من المثل والقيم والنماذج والانطباعات السليمة. وعلى الرغم من توفر عدة وسائل وأساليب لخدمة الأطفال إلا أن أدب الأطفال يعدّ من أهم هذه الوسائل وأبقاها أثراً، حيث إنه يساعد تزويد الأطفال بالمعلومات والخبرات والمهارات والاتجاهات اللازمة لهم. إن الكتابة للأطفال ليست بسيطة وسهلة كما يظنها البعض، وهي لا تتأتى لكل من هب ودب. والمضطلع بها ينبغي له أن يراعي خصائص الطفولة واحتياجاتها، ومراحل نموها العقلي والانفعالي والنفسي، وحتى المعجم اللغوي الذي يستخدم، في إطار من المثل والقيم والنماذج والانطباعات السليمة.

وهذا الأدب يشمل القصة والمسرحية والشعر وأشكال أخرى، وهو بذلك يؤلّف أداة مهمة من أدوات تنشئة الطفولة التي تعتبر عماد المستقبل وأساسه، وأدب الأطفال الجيد هو الذي يراعي خصائص الطفولة واحتياجاتها، في إطار من المثل والقيم والنماذج والانطباعات السليمة. ويعدّ الشعر من أبرز هذه الأشكال المحببة لدى الطفل، للوقوع الموسيقي الذي يتركه في نفسيته، وسهولة حفظه، وسعة خياله، وجمال صورته الشعرية. وبالتحليل والدراسة لنماذج من ديوان "أناشيد العلم والأمل" لشاعر والأديب الجزائري ناصر معماش حاولنا في هذا البحث استخراج عناصر تشكيل الصورة البلاغية والرمزية في أدب الطفل منها كالصورة التشبيهية والاستعارية والكنائية، والصورة الرمزية ومالها من دور في تشكيل الصورة الشعرية.

## عناصر وإيحاءات الصورة البلاغية والرمزية:

### 1- الصور البلاغية:

**أ- الصورة التشبيهية:** يعد التشبيه من أقدم صور البيان ووسائل الخيال وأقربها إلى الفهم والأذهان، ويلجأ الشاعر في تعبيره إلى أسلوب التشبيه لشعوره بأنه " أكثر من غيره قدرة على إصابة الغرض و وضوح الدلالة على المعنى " (عتيق، دس، صفحة 105). وتأتي هذه الصورة في مقدمة الصور الشعرية المستعملة والمتداولة في مجال النص الشعري الموجه للأطفال، فقد أدرك شعراء هذا المجال ما للتشبيه " من قيمة فنية، فعنوا به ونوعوا فيه واتخذوا منه أداة للتصوير، فكان وسيلتهم المفضلة في تشكيل الصورة في الشعر الموجه للأطفال " (جلولي، 2008، صفحة 360).

وإذا كانت البلاغة العربية القديمة تؤكد على أن التشبيه الجيد ينبغي أن ينطلق من مشبه مجرد أو خيالي لا يدرك بالحواس إلى مشبه به محسوس مقبول ومعروف، وكل من شذا على هذا الوصف وصف تشبيهه بالرديء، في حين التشبيه الجيد في الشعر الموجه للأطفال هو الذي ينبغي أن ينطلق من واقع الطفل وبيئته والمحسوسات التي يتعامل معها ويلمسها ويراهها إلى كائنات محسوسة أيضاً، فالتشبيه في هذا اللون من الشعر هو صورة شعرية تقرب حقيقتين مختلفتين، فلا ينظر إليه

فقط من خلال طبيعة كل حقيقة إذا كانت مجردة أو حسية، وإنما من خلال عملية التقريب والجمع ذاته، وما هو موقع هذا الجمع داخل السياق العام، وما يمكن للعلاقة الجديدة بين طرفي التشبيه أن تولده في ذهن المتلقي من إحياءات ودلالات (جلولي، 2008، صفحة 367). وقد اعتمد شاعرنا ناصر معماش على التشبيه كثيرا في تشكيل صورته، فقد كان أكثر الوسائل حضورا وتوظيفا، إدراكا منه لما له من أثر كبير في هذا اللون الشعري من فضل في إيضاح المعنى وإبراز الأفكار ونقل المشاعر والأحاسيس، وهذا ما تجلّى في التشبيهات التي توالفت في قصائد الشاعر. يقول في قصيدة "معلمي

أحبه" (معماش، 2004، صفحة 7) **معلمي أحبه كأنه رسول**

**إلى الهدى يدلني يفعل ما يقول**

أراد الشاعر أن يعبر عن دور المعلم في تنوير العقول وتربية الأولاد من خلال رسالته التعليمية، فشبه المعلم بالرسول - صلى الله عليه وسلم - في أدائه للرسالة. فالمعلم مثبه، و الرسول مثبه به، وليوضح هذه المشاركة أتى بالأداة الكاف،

أما وجه الشبه فهي الرسالة. أما في قوله (معماش، 2004، صفحة 7): **معلمي مثل أبي يحرسني، يهواني**

**يتعب كي يسعدني يفرح إن رأني**

فالشاعر معجب برقة وطيبة وحرص المعلم، فلم يجد إلا الأب ليشبه حرص واهتمام وعناية المعلم، فالمعلم مثبه، والأب مثبه به، والأداة مثل، أما وجه الشبه فهو العناية والحرص. أما في قوله في قصيدة "الطفل الشاعر" (معماش، 2004،

صفحة 8): **إنما الإنسان فن ماهر صاغه الخلاق في شكل جميل**

**حبه الأشعار حبُّ طاهر كالدواء يشفي من الداء العليل**

يريد الشاعر أن يعبر عن مكانة الشعر وأهميته، فلم يجد إلا الدواء الذي يشفي من السقم والعلّة ليعبر عن حبه للشعر، فالشعر مثبه، والمثبه به الدواء، واستعان بأداة الكاف، أما وجه الشبه فهو الشفاء.

أما قوله (معماش، 2004، صفحة 9): **إنّما الشّعْر شعور العلماء فاقرا الشّعْر تكن مثل الكتاب**

أراد الشاعر أن يحث الأطفال على أهمية قراءة الشعر وذلك لما يكتسبه الطفل من مطالعته للشعر من رصيد لغوي وزاد معرفي، فشبه الشعر بالكتاب، فالشعر مثبه، والكتاب مثبه به، والأداة مثل، ووجه الشبه تخزين المعارف.

أما في قصيدة "العلم و الوطن" (معماش، 2004، صفحة 11): **أريد الجزائر مثل الزهور تفوح برائحة الكوثر**

**تسود الأخوة فيها وتحيا العلوم الغزيرة كالأنهر**

ففي البيت الأول يحلم الشاعر بجزائر خضراء مزدهرة جميلة تفوح بالروائح الزكية الطيبة، ففكر فلم يجد إلا الزهور كرمز للخصب والنماء ليعبر بها عن أمانيه، فشبه بذلك الجزائر بالزهور، فالجزائر مثبه، والزهور مثبه به، والأداة مثل، أما وجه الشبه فهو الرائحة الطيبة. أما في البيت الثاني فالشاعر يأمل بجزائر تسود فيها الأخوة والمحبة في ربوعها وتكون موطننا للعلم والعلماء وتنتشر العلوم بين أفراد شعبها، فهو يأمل بأمة متعلمة متفتحة مزدهرة، تجري العلوم فيها كجريان الأنهار، فالعلوم مثبه، والأنهر مثبه به، والكاف الأداة، ووجه الشبه الغزارة.

أما قوله في قصيدة "علم بلادي" (معماش، 2004، صفحة 12): **علم بلادي رمز الثورة**

**ثورة شعب لم يتفهقر**

**رائع مثل الطير تسامى**

لقد كان العلم الوطني مصدر استسقى منه الشاعر صورته فقد شبه رفرفة العلم الوطني بالطائر المحلق في السماء العالية، فالعلم مشبه، والطائر مشبه به، استعان بأداة مثل، ووجه الشبه السمو والعلو. أما قوله في قصيدة "وطني لن أرحل عنك" (معماش، 2004، صفحة 13):

وطني يترعع في صدري      زهرا يتفتح من كبدي  
من أجله أجعل من عمري      أملا أحياء إلى الأبد  
في البر أحب في البحر      كالشمس سيدفي برد غدي

إن الشاعر مغرم بوطنه محب له فهو يرى فيه منبع الحب والحنان والدفء الذي يمكنه من مواجهة صعوبات الغد، فقد شبه وطنه بالشمس التي تدفئه من البرد، فالوطن مشبه، والشمس مشبه به، والأداة هي الكاف، ووجه الشبه الدفء.

أما قوله في قصيدة "لغتي" (معماش، 2004، صفحة 15):

خطوطها جميلة      كزهر الريحان  
كأنني من دونها      سقف بلا جدران

فقد أراد الشاعر في البيت الأول أن يعبر عن اعتزازه و افتخاره بلغته العربية وجمالها، واتساع معجمها وتنوع دلالاتها و يبين كذلك جمال خطوط اللغة العربية، فبحث فلم يجد ما يضاهيها جمالا إلا زهرة الريحان، فالخطوط مشبه، و زهرة الريحان مشبه به، والأداة هي الكاف، و وجه الشبه الجمال. أما في البيت الثاني فقد أراد الشاعر أن يبين أهمية اللغة العربية فشبه نفسه بدون اللغة بالسقف الذي يخلو من الجدران، فالشاعر مشبه، والسقف مشبه به، أما الأداة فهي الكاف، ووجه الشبه فقدان الأساس. وفي قصيدة "النملة النشيطة" فقد توالى التشبيهات، حيث يشبه النملة بالعامل الغلبان، وبالإنسان تارة أخرى فيقول (معماش، 2004، صفحة 19):

تجر قوت يومها      كعامل غلبان  
تجود مثل محسن      يعيش بالإحسان

حيث شبه النملة في البيت الأول بالعامل الذي يجد ويكد من أجل أن يكسب قوت يومه بعرق جبينه، فالنملة مشبه، والعامل الغلبان مشبه به، والكاف الأداة، ووجه الشبه السعي والاجتهاد. أما في البيت الثاني فإن الشاعر يشبه النملة بالإنسان المحسن الذي يوجد على غيره من المحتاجين، فالنملة مشبه، والإنسان مشبه به، والأداة مثل، أما وجه الشبه فهو الإحسان.

أما في قصيدة "الأطفال الأذكياء" فقد توالى التشبيهات، حيث يشبه الطفل تارة بالعلماء في دعوتهم إلى الصلاح والاستقامة، وتارة أخرى يشبههم بالكبار في تصرفاتهم وسلوكياتهم، وتارة أخرى يشبههم بالطيور في تغريدها ونشاطها فيقول (معماش، 2004، صفحة 21):

وشاكر كالعلماء      يدعو الصغار للصلاح  
أحيانا نبدو كالكبار      وحيناً نشدو كالطيور

وأراد الشاعر في قصيدة "حفظ الأمانة" في قوله (معماش، 2004، صفحة 22):

سأحفظ الأمانة      كحارس مطيع  
وأكبر وفيها      جميلا كالربيع

أن يغرس في الأطفال ضرورة حفظ الأمانة وصونها، وتوضيحاً من أجلها، فبحث فلم يجد ما يضاهيها إلا الحارس المطيع الأمين، فالطفل مشبه والحارس المطيع مشبه به، والأداة هي الكاف، أما وجه الشبه فهو صيانة الأمانة. و شبه في البيت الثاني براءة وجمال الأطفال بجمال فصل الربيع؛ إذ يعتبر الأولاد زهور الحياة وتمتعها وسر جمالها فهم مبعث الفرح والأمل، لذلك شبه الشاعر جمالهم بفصل الربيع المتميز بأزهاره المتفتحة ومروجه الخضراء التي تسر الناظرين، فالطفل

مشبه والربيع مشبه به، والكاف هي الأداة، ووجه الشبه الجمال. أما في قصيدة "مئزري العجيب" (معماش، 2004، صفحة 23):

**أحسني مثل الطبيب يحتوي كل الجراح**

فالشاعر أراد أن يعبر عن هيئة التلميذ وهو يرتدي مئزره في الصباح، إذ يراوده الإحساس بأنه مثل الطبيب يداوي جراح المرضى، فالتلميذ مشبه والطبيب مشبه به، والأداة هي مثل أما وجه الشبه فهو الإحساس.

والملاحظ على التشبيهات التي توالفت في قصائد شعرنا أنها بسيطة مستمدة من واقع الطفل وبيئته، تنطلق من مشبه محسوس إلى مشبه به محسوس، فقد جاءت بسيطة ملائمة لمستوى وقدرات المتلقي الصغير، إذ لا تتطلب جهدا كبيرا وتعمقا في فهمها، فهي صور واضحة حسية بعيدة عن الغموض والتجريد.

وعلى العموم فإن التشبيهات الموجه للطفل ينبغي أن تكون متصلة ببيئته قريبة من عالمه ومداركه تتلاءم مع مراحل نموه، خصوصا في مراحله الأولى والمتوسطة، حتى لا يجد الطفل صعوبة في فهم النص تنفره عن الإقبال عليه، فيدخل في جو من الإحباط و الفشل، لأنه عجز عن تفسير النص وفك رموزه.

**ب- الصورة الاستعارية:** تعد إحدى العناصر التي يستعين بها الشاعر في تشكيل صورته، إذ تختلف التقنيات

والعناصر والوسائل التي يتكئ عليها المبدع في تشكيلها. و في الإبداع الشعري الموجه للأطفال لا يمكن المفاضلة بين أنواع الصور إلا من خلال مناسبة هذه الصورة أو تلك مع كل مرحلة من مراحل نمو الطفل "فتخطي العلاقات المنطقية في الواقع واللغة، يحتاج إلى مستوى ناضج من الإدراك، وهو ما يجعل توظيف الاستعارة في الشعر الموجه للأطفال يأخذ منحى حساسا يتوقف عند طبيعة المتلقي الصغير ومراحل نموه المختلفة" (جلولي، 2008، صفحة 374)، فما يقبله ويدركه طفل في مرحلة عمرية معينة، قد لا يدركه طفل آخر في مرحلة عمرية أخرى. ويتجه الشاعر إلى توظيف الاستعارة حتى يتجاوز التعبير العادي ويختزل بها الكثير من الصيغ الكلامية الفضفاضة ويكسب نصه إيحائية وعمقا تساهم في تحريك مشاعر المتلقي وتزيد من تفاعله مع النص من خلال محاولة فك رموزه، وكل هذا يجعل الصورة الاستعارية تحتاج إلى تخيل أعمق وتصور أنضج، وهو ما نجده عند الأطفال في مراحلهم المتأخرة (مرحلة المغامرة و البطولة، ومرحلة اليقظة الجنسية).

وقد جاء حضور الاستعارة عند شاعرنا في المرتبة الثانية بعد التشبيه الذي يعد البذرة الأولى في تشكيل الصورة الشعرية، ومن الاستعارات التي وردت في ديوان ناصر معماش نجد ذلك في قوله في قصيدة "أنهض باكرا" (معماش، 2004،

صفحة 5):

**واجعل يومك يحلو يثمر**

**وانظر كيف نهارك يزهر**

**دفع الله لذيذ أكله ..**

ففي قوله واجعل يومك يحلو يثمر فيه استعارة حيث شبه اليوم وهو شيء معنوي بشجرة تثمر، فحذف المشبه به وهو الشجرة، وترك لازمة من لوازمه وهو الإثمار على سبيل الاستعارة المكنية. وفي عبارة (نهارك يزهر) استعارة حيث شبه النهار وهو شيء معنوي بحقل يزهر، فحذف المشبه به وترك لازمة من لوازمه وهي الإزهار على سبيل الاستعارة المكنية.

وكذلك نجد استعارة مكنية في عبارة (دفع الله لذيذ)، حيث شبه الدفء بالحلوى اللذيذة، فحذف المشبه الحلوة، وترك قرينة تدل عليها وهي اللذة، على سبيل الاستعارة المكنية. وفي قصيدة "العلم والوطن" في قوله (معماش، 2004، صفحة 10):

**يصدون كيد الذين أرادوا خراب العقول وقتل الأمل**

## تسود الأخوة فيها وتحيا العلوم الغزيرة كالأنهر

ففي البيت الأول استعارتان الأولى تتجلى في عبارة (خراب العقول)، حيث شبه العقول وهي شيء معنوي بالبيت الخرب، فحذف المشبه به وهو البيت وترك لازمة من لوازمه وهو الخراب على سبيل الاستعارة المكنية. والاستعارة الثانية (قتل الأمل) حيث شبه الأمل وهو شيء معنوي بالإنسان، فحذف المشبه به الإنسان وترك ما يدل عليه وهو القتل على سبيل الاستعارة المكنية. وفي البيت الثاني فنجد استعارة في عبارة (تحيا العلوم)، حيث شبه العلوم وهي شيء معنوي، بالإنسان يحيا فحذف المشبه به وترك لازمة من لوازمه وهي الحياة على سبيل الاستعارة المكنية.

أما في قصيدة "وطني لن أرحل عنك" في قوله (معماش، 2004، صفحة 13):

## وطني يترعع في صدري زهرا يفتح من كبدي

نجد استعارتان الأولى في عبارة (وطني يترعع) حيث شبه الوطن بطفل صغير يترعع، فحذف المشبه به وترك لازمة من لوازمه تدل عليه وهو الترعع على سبيل الاستعارة المكنية. والثانية تتجلى في عبارة (يترعع في صدري) حيث شبه الصدر بالمنزل، فحذف المشبه به المنزل، وترك ما يدل عليه هو الترعع، على سبيل الاستعارة المكنية. وفي قصيدة "لغتي" في

قوله (معماش، 2004، صفحة 15):

تزهو على لساني	لغتي أمانى
في مصحف القرآن	تفرح إن قرأتها
تجري على اللسان	حروفها لطيفة
تفوح بالمعاني	لأنها جميلة

ففي عبارة (لغتي تزهو على لساني) و (تفرح إن قرأتها) و (حروفها لطيفة) و (تفوح بالمعاني) استعارات، ففي عبارة (تزهو على لساني) شبه اللغة بالإنسان، فحذف المشبه به الإنسان، وأبقى ما يدل عليه، وهو لفظة "تزهو" على سبيل الاستعارة المكنية. أما في عبارة (تفرح إن قرأتها) استعارة مكنية حيث شبه اللغة بطفل، فحذف المشبه به الطفل، وترك ما يدل عليه، وهو الفرح. و في (حروفها لطيفة) فالشاعر أراد أن يعبر عن رقة اللغة العربية، فشبه الحروف وهي شيء معنوي بطفلة، فحذف المشبه به الطفلة وترك قرينة تدل عليها وهي اللطف على سبيل الاستعارة المكنية. أما في عبارة (تفوح بالمعاني) فالشاعر أراد أن يعبر عن اتساع معاني اللغة العربية وتنوع دلالاتها، فشبهها باللغة بالورد، فحذف المشبه به وهي الورد وترك ما يدل عليها الفوح على سبيل الاستعارة المكنية. أما في قوله في قصيدة "زهرة الربيع" (معماش، 2004، صفحة 17):

أنا زهرة الربيع	أسمى ياسمين
بشكلي البديع	أحيا بلا أنين
أحمل للجميع	روائح الحنين
حديقتي شريفة	تفوح بالمنى

نجد في هذه الأبيات في عبارة (روائح الحنين) و (تفوح بالمنى) استعارتان، ففي الأولى شبه الحنين وهو شيء معنوي، بروائح العطر، فحذف المشبه به العطر و أبقى ما يدل عليه وهو الرائحة على سبيل الاستعارة المكنية. أما في العبارة الثانية (تفوح بالمنى) فقد شبه المنى بالعطر، فحذف المشبه به العطر، وترك لازمة من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.



لقد ولدت هذه الاستعارات المكنية أثر جميلا في نفسية المتلقي ومنحت النصوص الشعرية رونقا وجمالا وساهمت في التعبير الدقيق الذي سعى إليه الشاعر، وبذلك كان لها دور فاعل في توضيح المعنى وتقريبه إلى ذهن المتلقي، فقد وردت هذه الاستعارات في شكل متناغم شد انتباه المتلقي، إذ أن الخروج باللفظ عن إطاره المعجمي الضيق إلى دائرة واسعة الامتداد يثير دهشة المتلقي، مما يدفعه إلى التفاعل مع النصوص محاولا تفكيك رموزها، والغوص في أعماقها من أجل الوصول إلى معناها الحقيقي، فقد ساهمت هذه الاستعارات في تحريك خيال الطفل.

**ج- الصورة الكنائية:** تعد عنصرا من عناصر تشكيل الصورة الشعرية والشاعر يتجه إلى استخدام هذا الأسلوب البياني للتعبير بشكل غير مباشر عن مشاعره وعواطفه ومقاصده "حيث تشير الكناية- إلى معنى آخر غير المعنى الحرفي للتركيب" (جلولي، 2008، صفحة 380)، فيها يعبر الشاعر عن الأمور التي يتحاشى الإفصاح عنها. لكن الغاية من الصورة الكنائية في النص الشعري الموجه للأطفال تختلف عن تلك التي توظف في أدب الكبار، فهي "تجسد المعنى وتقربه للمتلقي و تسلط الأضواء عليه ليزداد وضوحا و ترسيخا في الأذهان" (جلولي، 2008، صفحة 381)، ومن الكنايات التي وظفها شاعرنا في ديوانه نجد قوله في قصيدة "معلمي أحبه" (معماش، 2004، صفحة 6):

أراه دوما ساهرا  
ينصحني، يرشدني  
إلى الخير الذي به  
أبني صروح موطني...

ففي عبارة (أبني صروح موطني) كناية عن خدمة الوطن و الاجتهاد في سبيل تشييده، فالوطن لا ينهض و لا يقوم إلا بسواعد أبنائه. أما في قوله في قصيدة "العلم و الوطن" (معماش، 2004، صفحة 10):

أحب بلادي كثيرا  
وأرفض كل يد طامعه

ففي عبارة (أرفض كل يد طامعه) كناية عن التصدي للأعداء الطامعين الذين يتربصون بالجزائر وخبراتها، واستعداده (الشعب الجزائري) لمقاومتهم والكفاح من أجل الحفاظ على وحدة أرضهم حتى آخر رمق. وفي قصيدة "وطني لن أرحل

عنك" يقول (معماش، 2004، صفحة 13):  
سأظل أمجد كل دم  
وطني الأوراس و لن أرحل  
من أجل بلادي لم يبخل

فقد وظف شاعرنا (سأظل أمجد كل دم) كناية عن شهداء الثورة التحريرية، فالشاعر مفتخر ومعتز بما قدموه من بطولات وأمجاد في سبيل تحرير الوطن. وفي قصيدة "لغتي" يقول (معماش، 2004، صفحة 15):

يا لغتي يا لغتي  
يا لغة القرآن

ففي عبارة (يا لغتي يا لغة القرآن) كناية عن اللغة العربية، فالشاعر محب و مفتخر بلغته العربية، وكيف لا وهي اللغة التي نزل بها كلام الله. أما في قصيدة "الأطفال الأذكياء" (معماش، 2004، صفحة 21):

نحن الأطفال الصغار  
من حلمنا تنمو الزهور

نجد في عبارة (من حلمنا تنمو الزهور) كناية عن البراءة، فالطفل الصغير يحلم دائما بغد أفضل تملؤه السعادة والفرح. ومما سبق نلاحظ أن حضور الصورة الكنائية كان قليلا مقارنة مع الصورة التشبيهية والصورة الاستعارية، ولعل ذلك يرجع إلى صعوبة فهمها وإدراكها من قبل المتلقي الخاص-الطفل- خصوصا في مراحل نموه الأولى.

والملاحظ على الصور الكنائية التي استعان بها شاعرنا أنه تجنب الكنايات المعقدة والغامضة، وأتى بكنايات بسيطة قريبة من بيئة الطفل ومحيطه، حتى تكون قابلة للفهم والإدراك من قبل المتلقي الصغير، ويزداد المعنى وضوحاً وقرباً من ذهنه.

**3- الصورة الرمزية:** يلجأ الشاعر إلى وسائل عدة لكي يعبر عن مشاعره وما يلج بداخله وعن تجربته، والرمز أحد هذه الوسائل وهو يعد من أبرز الظواهر الفنية التي يستعين بها الشاعر في تشكيل صورته الشعرية، وقد أدرك الشعراء المعاصرون أكثر من سابقهم "ما في الرمز من امتلاء، وخصوصية، وما فيه من طاقة في أن يفتح أمام الشاعر والقارئ معا فيضاً من الإيحاءات التي لا تنتهي إذا أحسن الشاعر استعماله، فقد تعددت المجالات التي أصبح استخراج الرمز منها ممكناً، مما أضفى على العمل الشعري ثراء في أبعاد الصورة الشعرية و اتجاهاتها" (ناصر، 2006، صفحة 549)، فالرمز عادة يتسم بالغموض والخفاء، ولعل السبب الأساسي الذي جعل الشعراء المعاصرين يعتمدون عليه في صورهم وتعبيرهم هو قناعتهم بأن "لغة الشعر يجب أن تتعد قدر الإمكان عن الوضوح والتحديد، والرمز وحده هو الذي يضيف على لغته مسحة من العمق، والإيحاء، ويعين الصورة لئلا تكون تشابهاً بين شيئين" (ناصر، 2006، صفحة 549، 550)، وهو ما يتطلب من متلقي من نوع خاص له ثقافة متنوعة، ودراسة كبيرة واطلاع واسع. أما إذا اتجهنا إلى الرمز في أدب الأطفال وبالأخص في الشعر الموجه لهم، نجد يأخذ منحى آخر حساساً، فلا يستخدمه الشاعر إلا بعد دراسة وتمعن وتمحيص مراعيًا في ذلك مراحل نموهم ومستوى إدراكهم "فمن الضروري بالنسبة للأطفال أن نحذر الإغراق في الغموض والرمزية بما هو فوق مستواهم ... من حيث الفكرة والأسلوب" (نجيب، 1979، صفحة 79)، فكلما كانت الرموز المستعملة قريبة من عوالم الطفل، كان فهمها أسرع و نفاذها إلى الذهن أكبر وأسرع.

وكباقي الشعراء المعاصرين نجد شاعرنا يوظف في ديوانه بعض الرموز، مراعيًا في ذلك خصوصية متلقيه -الأطفال-. ففي قصيدة "علم بلادي" نجد فيها العديد من الرموز، وإن كانت تختلف نسبة فهم وفك هذه الرموز باختلاف نمو الأطفال ودرجة إدراكهم، فكل متلقي يكون دلالة معينة في ذهنه وفق مستويات النمو اللغوي والعقلي له.

يقول شاعرنا في وصفه وتغنيه بعلم بلاده (معماش، 2004، صفحة 12): **علم بلادي أبيض، أخضر**

**فيه هلال، نجم أحمر**

فالعلم الجزائري هو ككل عبارة عن رمز و هو يحمل في ثناياه العديد من الرموز والدلالات، فالعلم الوطني مثل النشيد الوطني والعملة الوطنية، رمز لوحدة الأمة وتعبير عن وحدة الشعور والمطامح والقيم الخالدة للشعب الجزائري وتضحياته. كما أن العلم الوطني ظل رمز تواصل بين مختلف الأجيال الجزائرية من جهة، و أداة تعميق المبادئ والأسس التي يقوم عليها المجتمع الجزائري من جهة أخرى. وإذا حاولنا تفكيك الرموز المكونة للعلم الوطني الجزائري، فإننا نجد تنوعاً وتختلف بين ألوان (أبيض، أخضر، أحمر) وأشكال (هلال، نجم)، ولكل واحد منها دلالاته الخاصة والمميزة، فالأبيض هو لون الطهارة والصفاء والنقاء والحق والعدالة والخير والسلام والمحبة بين أفراد الشعب الجزائري، أما اللون الأخضر فهو لون الحياة والحركة والسرور، لأنه يهدئ النفس ويسرها، فهو رمز للحياة والخصب والنماء والأمل والسلام والتفاؤل والحرية. أما اللون الأحمر فهو يحمل دلالات متنوعة، فهو لون القوة والقدرة والحركة وهو رمز لدماء الشهداء التي ارتوت بها أرض الجزائر الطاهرة. أما إذا تناولنا الأشكال المرسومة على العلم الجزائري فنجد بأن الهلال يرمز إلى الدين



الإسلامي، أما النجمة الخماسية التي تتوسط العلم في رمز لأركان الإسلام الخمسة. وفي قصيدة "زهرة الربيع" فنجد شاعرنا قد استعمل كلمة "ياسمين" كرمز يحمل عدة دلالات، وقد احتل هذا الرمز مساحة لا بأس بها في الشعر العربي عموماً و خاصة في الشعر المعاصر، والياسمين هو نبات زهري عطري زكي الرائحة، جميل الشكل واللون، وقد تحدث عنه الكثير من الشعراء في أشعارهم، تحدثوا عن رائحته الطيبة الفواحة. يقول في قصيدته (معماش، 2004، صفحة 17):

أنا زهرة الربيع      أسمى ياسمين  
بشكلي البديع      أحيا بلا أنين  
أحمل للجميع      روائح الحنين

فمن خلال عنوان القصيدة يتبادر إلى ذهن القارئ أنه سيقراً قصيدة ذات رائحة ولون شاعري وبخاصة عندما يلتقي بكلمة "الياسمين" وقد وظفها شاعرنا كرمز يحمل في ثناياه دلالات عدة من بينها أنه اسم علم لفتاة تعيش في سعادة وهناء مع أسرته في جو ملؤه المحبة بين أفرادها. أو كرمز للجزائر، جزائر تعيش في فرح وسعادة من غير حزن ولا ألم. كما قد ترمز لفظة "الياسمين" إلى فئة الأطفال هذه الفئة التي هي زهرة الحياة و سر سعادة الناس، فالأطفال هم الأمل والبراءة وهم الغد الجميل الزاهر المشرق هذا الغد الذي يحمل معه كل الخير، تسوده المحبة وتملئه السعادة والفرح.

أما في قصيدة " وطني لن أرحل عنك" يقول (معماش، 2004، صفحة 13):

عربي الأصل أنا يا أبي      ديني الإسلام ولا أخل  
سأظل أمجد كل دم      من أجل بلادي لم ييخل

لقد وظف شاعرنا "الأوراس" كرمز يحمل في طياته دلالات مختلفة، فهو رمز للشموخ و الثبات، ورمز يحيل إلى الرفعة والسمو والعلاء، فشاعرنا وعلى لسان الأطفال لا يريد التخلي ولا مفارقة وطنه، فهو متمسك به وكيف لا وقد اجتمع على كل الأسباب التي تجعل من الجزائري يذوب في حبه وفي جماله. كما يرتبط رمز "الأوراس" بثورة نوفمبر المجيد التي احتضنتها هذه الجبال، فإذا ذكرت "تبادر إلى الذهن معنى البطولة و التضحية و الفداء، ومن هنا نجد الشعراء دائماً يقرنون الأوراس بالبطولة والأبطال وبالجهاد والنضال وهذا شيء طبيعي فقيمة الأوراس تكمن في معاني البطولة وروعة القتال من أجل المبدأ وتحرير الأرض والإنسان" (ركيبي، 1982، صفحة 15).

وأما قصيدة "محمد جمال الدرة" فقد حوت العديد من الرموز، وأول رمز نجده في البيت الأول وهو "درة" في قول الشاعر

(معماش، 2004، صفحة 27): يا سيد الأوطان      يا درة العرب

فالدرة تحمل دلالات شتى، فقد يقصد بها الشاعر اسم ملهمه و بطل قصته الطفل محمد جمال الدرة، فباستشهاده من أجل تحرير وطنه فلسطين كان بمثابة الدرة بين العرب. أو ربما يريد الشاعر بتوظيفه "درة العرب" إبراز قيمة ومكانة فلسطين بالنسبة للعرب، فهي سيدة الأوطان ورمز للمقاومة والكفاح، ورمز للإرادة والعزيمة من أجل النصر، كما تحمل على أرضها المسجد الأقصى وهو واحد من أكبر المعالم قدسية عند المسلمين، حيث يعد أول القبليتين وثالث الحرمين الشريفين في الإسلام، وفيه صلى النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- إماماً بالأنبياء قبل أن يعرج به إلى السماء، فحق لفلسطين أن تكون سيدة الأوطان و لأولوة العرب. أما في قول الشاعر في القصيدة نفسها (معماش، 2004، صفحة 28):

أماه لا تنوحني      فإني سعيد

دعي التاريخ يحكي  
وضمني إليك  
وكحلي عينيك  
وحكاية الشهيد  
فهذا اليوم عيد  
بكحكك الجديد

فقد استخدم ناصر معماش "الكحل" كرمز، ومن المعروف أن للكحل عند العرب حيز ومكانة كعنصر تراثي دال على الفرح والسعادة. وما يزيد تأكيداً على ذلك هو استعمال لفظة "الكحل" مرتين في بيت واحد، ففي صدر البيت " كحلي عينيك" نجد بأنها ترمز للفرح، فالشاعر وعلى لسان الطفل الشهيد يطلب من أمه أن تمسح عينيه ولا تحزن، بل عليها أن تفرح باستشهاده فهو مع الأنبياء والشهداء في جنات النعيم. أما في عجز البيت "بكحكك الجديد" فهو يرمز إلى غد أفضل مشرق لفلسطين وشعبها، وهذا لا يكون إلا بعد تحريرها من أيادي الاحتلال الصهيوني. ويقول كذلك في المقطع الأخير من قصيدة "محمد جمال الدرة" (معماش، 2004، صفحة 29):

إلّكم أصدقائي  
أريدكم أبطالا  
فحققوا الأمانى  
فالقدس في حماكم  
من جنّتي السلام  
في الفعل و الكلام  
لوطن الحمام  
سيروا إلى الأمام

لقد استخدم "الحمام" كرمز بكثرة سواء لدى الشعراء القدماء أو المحدثين وحتى المعاصرين، وقد سار شاعرنا على منهجهم ووظف "الحمام" كرمز لسلام، وكذلك كرمز لفلسطين، فالشاعر وعلى لسان الطفل الشهيد دائماً، يأمل في تحقيق أمنيته وأمنية كل عربي مسلم وهي أن تعيش فلسطين وشعبها بسلام ويسود أرضها الأمن والاستقرار، وهذا لا يكون إلا بالتضحية والمقاومة والكفاح، فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

### خاتمة:

تؤدي الصورة الشعرية دوراً هاماً في العمل الإبداعي، كونها وثيقة الصلة بين نفسية الشاعر وبين نفسية المتلقي، فهي الجسر الذي يربط بين المبدع والمتلقي؛ وتعتبر القوة التي تميّز القصيدة والدعامة التي يتكئ عليها المبدع لإعادة رسم الواقع، فهي لم تعد أداة تزيين أو جزء يمكن الاستغناء عنه، بل تحولت إلى عنصر رئيس لا يقوم العمل الإبداعي بدونها، فالصورة من أهم أدوات التشكيل الشعري التي يتوسل بها الشاعر للتعبير عن رؤاه ومشاعره وانفعالاته، فهي ترجمان صادق ودقيق عما يجري في أعماق الشاعر من خلجات وخواطر وإحساسات دفيئة. فأدب الطفل كأدب الكبار لا يخلو من الصورة الشعرية فهو غني بها، ولكنها تتميز بمراعاة خصائص الأطفال وقدراتهم الاستيعابية؛ ولقد استطاع ناصر معماش التوفيق في محاولته العمل على تناسب الرمز مع الشكل مع والمضمون في إطار نظرة تكاملية في عمله الأدبي، وكان الهدف من ذلك زرع بعض القيم الدينية والأخلاقية والتربوية والوطنية والتاريخية في نفوس الناشئة، مستخدماً في ذلك رموزاً مألوفة تقع داخل دائرة الاستعمال الشائع بما يلائم مدارك الأطفال، وإضافة بعض المفردات الجديدة قصد إثراء قاموسهم اللغوي وتنشيط الجانب الإدراكي لديهم؛ وبذلك يكون الشاعر قد وظّف في ديوانه بعض الرموز المستقاة من محيط الطفل والقريبة من مداركهم، مستخدماً لغة سهلة بسيطة في تناول متلقيه الخاص، فلم ينزل بها إلى مستوى العامية، ولم يرتق بها إلى

مستوى اللغة الأدبية المعقدة، بل جعل الطفل يخوض في لغته العربية قراءة وفهما محققا بذلك هدفين: متعة التعلم ومتعة القراءة.

## المصادر والمراجع

- i. أحمد نجيب. (1979). المضمون في كتب الأطفال . مصر: دار الفكر العربي.
- ii. العيد جلولي. (2008). النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر. الجزائر: المؤسسة الوطنية لفنون المطبعية.
- iii. عبد العزيز عتيق. (دس). في البلاغة العربية. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.
- iv. عبد الله ركيبي. (1982). الأوراس في الشعر العربي. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- v. محمد ناصر. (2006). الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية. بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- vi. ناصر معماش. (2004). أناشيد العلم والأمل. سطيف، الجزائر: دار البدر لنشر والتوزيع.
- vii. هادي نعمان الهيتي. (1988). ثقافة الأطفال. القاهرة، مصر: المجلس الوطني لثقافة والآداب.